

الأسئلة التي لا تخلو

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا؛ من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمد عبده ورسوله.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ، وَلَا تَمُونَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾

[سورة آل عمران، الآية ١٠٢].

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا

وَبَثَّ مِنْهَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ، وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ

عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [سورة النساء، الآية ١].

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ

أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ، فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾

[سورة الأحزاب، الآيتان ٧٠-٧١].

أما بعد...

مواطني العزاء، إخواني المسلمون وأخواتي المسلمات!

بعون الله وتوفيقه نستمر في نشاطنا من أجل تعريف
الناس بالدين الإسلامي الصحيح. وكما أن هذا النشاط من
أفضل وأشرف الأعمال فكذا هو عمل ذو مسؤولية كبيرة.
ومن المعلوم أن قلة المشاكل في المجتمع متعلق بوجود أناس
عالمين بأمور دينهم ودنياهم. والحمد لله أننا نشاهد التقدم
في هذا الاتجاه اليوم في بلدنا الحبيب أذربيجان.

وهذه الرسالة التي نقدمها إليكم تحتوي على مسألة
مهمة جدا. وذلك أننا نعيش في هذه الحياة ونتطور فيها ثم
نترك الدنيا كما هو سنة الله في خلقه. ولكن الكثيرين منا لا
يعرفون ماذا سيحدث لهم في البرزخ بعد الموت. ولا تستغربوا
من عنوان هذا الكتاب – "الأسئلة الثلاثة". فإن كنا سوف
يسأل عنها. وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ إذا
فرغ من دفن الميت وقف عليه فقال: {استغفروا لأخيكم
وسلوا له التثبيت فإن الآن يسأل}. رواه أبو داود.

وثبت عن رسول الله ﷺ في الحديث الذي رواه أبو داود
أيضا أن الميت يسأل في قبره فيقال له: من ربك؟ وما دينك؟

ومن نبيك؟ فمن أجاب عن هذه الأسئلة فقد نجا من العذاب الأليم، وأما من لم يجب عنها فسوف يعذب في قبره. تأملوا أن كثيرا منا يعرف الإجابة عن هذه الأسئلة. والذي يقرأ هذه السطور ربما يظن أن الإجابة عليها سهلة. والأمر ليس كذلك. لأن الإجابة عنها سهلة جدا في الدنيا. وأما بعد الموت فلا يوفق للإجابة عنها إلا من ارتضاه الله عز وجل. والله سبحانه وتعالى يرضى عن العبد الذي يعمل في الدنيا بما تقتضيه هذه الأسئلة فيثبته ويعينه على الإجابة عنها في الآخرة.

مواطني الأعزاء!

أود أن أخبركم أنني استدلت في كتابة هذه الرسالة بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية الصحيحة. وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقكم لقراءتها كلها وأن يحفظ شعبنا ودولتنا وجميع المسلمين من كل بلاء ومكروه!

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سنتعرض في هذه الرسالة الصغيرة إلى موضوع مهم الذي يحتاج إليه كل مسلم ومسلمة. وذلك بأن الشخص الذي ليس عنده من العلم القدر الكافي عن هذه القضية المهمة ربما يخسر دنياه وآخرته. ولذا انتهوا إلى عنوان الرسالة. فإن القصد من " الأسئلة الثلاثة " إنما هي الأسئلة التي يسأل عنها كل فرد في قبره، يعني: من ربك؟ ما دينك؟ من نبيك؟ فالمؤمن يؤمن بها ولا يشك فيها. وأما من شك فيها فسيعلم حقيقة هذه الأسئلة علما يقينيا حين مشاهدته لها. إذا على المرء أن يتدبر قبل فوات الأوان.

ما أسعد من عرف ربه ودينه ونبيه. هو الذي يوفقه الله للعمل الصالح في الحياة الدنيا ويثبته في الآخرة (يعني في البرزخ) حتى يتيسر له الإجابة على هذه الأسئلة. قال

الله عز وجل: ﴿يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَتَقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ۚ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا

وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿ [سورة إبراهيم، الآية ٢٧].

وأما يوم القيامة فسوف يكون في نعيم الجنة. قال
الله عز وجل: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ
تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ﴾ [سورة البروج، الآية ١١].

وأما الإنسان الذي لم يعرف ربه ولا دينه ولا نبيه، أو إذا
أقر بلسانه ولم يصدقه بأعماله، فقد خسر. وذلك أنه لن
يهتدي في الدنيا ولا في الآخرة. قال الله عز وجل: ﴿ يُوْتِي اللَّهُ
الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ
اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴾ [سورة إبراهيم، الآية ٢٧].

وأما يوم القيامة فسوف يكون في نار جهنم وفي عذاب
دائم. قال الله عز وجل: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ
فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴾ [سورة البينة، الآية ٦].

مع هذا نحن لا نريد أن نبيس القارئ، بل نريد أن يكون
له معلومات عن هذه الحقائق. لأن كل ما ذكرنا مما قاله الله
عز وجل هو كلامه الذي لا يتبدل: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا
لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [سورة الأنعام، الآية ١١٥].

تأملوا أنكم تستعدون لامتحان الدنيا، إذاً استعدوا لامتحان الآخرة أشد من استعدادكم للامتحان الأول. والجواب على هذه الأسئلة سهل جدا كما يقول الكل "ربي الله". و لكن إذا أمنعنا النظر نرى أن من يصدق الله عز وجل في قوله ويعصيه في أعماله لا يستطيع أن ينطق بهذه الكلمات التي سهلت تلفظها. يصعب عليه ولا يتيسر له النطق بها عند الموت. تخيلوا من لم يوفق له النطق بهذه الكلمة قبل الموت كيف يكون حاله في البرزخ. نسأل الله أن يوفقنا جميعا للنطق بها عند الموت و في البرزخ. ولذلك يجب على العبد أن يعبد ربه الذي خلقه

أطوارا وأن يمثّل أوامره: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ

لِذُنُوبِكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [سورة محمد، الآية ١٩].

إذا نظرنا إلى الماضي رأينا أن أكثر الناس عبدوا غير الله وتعلقوا به. ومثل هذه الذنوب يستمر إلى قيام الساعة. فبعض الناس أعرضوا عن الله عز وجل إما عمدا وإما جهلا. لو أنهم بحثوا في هذا الأمر بحثا جيدا ونبذوا التقليد

لوفقوا إلى الحق إن شاء الله ولعلموا أن آلهة التي يعبدونها من دون الله هم أنفسهم يرجون رحمة الله ويخافون عذابه. والله خالق كل شيء. فالخالق في الحقيقة هو الله عز وجل. وأما الذين من دونه لا يستطيعون أن يخلقوا شيئاً وإنما يصنعون الأشياء من الشيء المخلوق الموجود. مثلاً، يصنعون سيارة من الحديد، وأثاثاً من الخشب، وقماشاً من القطن، ودقيقاً من البر وغير ذلك. إذاً من الذي يخلق الحديد والخشب والقطن والبر؟ وقولهم "خلقني أبي وأمي" خطأ فاحش. فإن الأب والأم سببان لوجود الولد لا خالقان له. علينا أن نعترف أن الله هو الذي يخلق الجنين في بطن الأم أطواراً وهو الذي يعطي له روحاً من عنده:

﴿وَقَدْ خَلَقْنَا أَطْوَارًا﴾ [سورة نوح، الآية ١٤].

كم من رجل وامرأة يتمنيان أن يكون لهما الولد ولكنهما لم يوفقا لذلك. طبعاً ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذَّكَورَ * أَوْ يَزْوِجُهُمْ ذَكَرًا وَإِنثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ [سورة الشورى، الآيتان ٤٩-٥٠].

وكذلك كون الناس يحتاجون إلى طعام وشراب
وكونهم يموتون عسبا عن أنفسهم وكونهم لا يستطيعون
دفع البلاء الذي نزل بهم. وهذا يدل دلالة واضحة على
أنهم يحتاجون إلى الحي الذي لا يموت. وكون الأصنام لا
تقدر على دفع شيء عن أنفسها يدل على أنها لا تتصف
بصفات الإلهية. ولكن الله عز وجل وحده منزه عن
النقائص وهو العزيز القدير الذي لا يحتاج إلى أحد. وإذا
كان كذلك فعلى أن نعبد إلهها خالقا حيا الذي لا يموت.
ولأجل هذا أسأل كل واحد: من الذي أوجد العالم؟ ويسأل
العبد في قبره أول ما يسأل:

من ربك؟

هذا السؤال له جواب واحد: هو الله عز وجل. ويمكننا

تأييد هذا الجواب بكلام الله عز وجل: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُم مَّنْ

خَلَقَهُمْ لَيَقُولَنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [سورة الزخرف، الآية ٨٧].

يتبين لنا من هنا أن الذي يقول "ربي الله" ولا يمتثل
 أوامره هو في الحقيقة لم يصدق قوله. مثلاً، الذي يقول
 أنه يحب أبويه ولكن يرسلهم إلى بيت الشيوخ ولا يهتم
 بهم، كيف يقال عنه أنه يحبهما؟ والمؤمن الحقيقي هو
 الذي إذا عرف ربه يمتثل أوامره. يقول الله عز وجل: ﴿إِنَّ
 الَّذِينَ قَالُوا رَبَّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَفْتَمُوا نَتَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا
 تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [سورة
 فصلت، الآية ٣٠].

تبين هذه الآية أنه لا يكفي مجرد الاعتراف بربوبية
 الله عز وجل، بل لا بد من امتثال أوامره سبحانه وتعالى.
 قال ابن كثير رحمه الله: وقال علي بن أبي طلحة عن ابن
 عباس رضي الله عنه: ﴿قَالُوا رَبَّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَفْتَمُوا﴾ على أداء فرائضه.
 ولأجل هذا أرسل الله جميع الرسل. ومهمة الرسل
 عليهم السلام هي تحذير الناس من الشرك ودعوتهم إلى
 توحيد الله عز وجل. ومع الأسف أعرض أكثر الناس عن
 طاعة الله ورسوله، وبذلك ضلوا سواء السبيل. يقول الله

عز وجل عنهم: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ
وَأَحْسِنُوا الطَّغُوتُ فَمِنْهُمْ مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ
الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِبِينَ﴾
[سورة النحل، الآية ٣٦].

يتبين من الآية أنه كان في كل أمة مؤمنها وكافرها. حتى
وجاء بعض الرسل ولم يؤمن به أحد. وعن ابن عباس
رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: {عرضت علي الأمم، فجعل
النبي والنبيان يمرون معهم الرهط، والنبي ليس معه أحد.
حتى رفع لي سواد عظيم. قلت: ما هذا؟ أمي هذه؟ قيل:
بل هذا موسى وقومه. قيل: انظر إلى الأفق. فإذا سواد يملأ
الأفق. ثم قيل لي: انظرها هنا وها هنا في آفاق السماء.
فإذا سواد قد ملأ الأفق. قيل: هذه أمتك. ويدخل الجنة
من هؤلاء سبعون ألفا بغير حساب} الحديث. متفق عليه.

فأما الذين سيحاسبون ويعاقبون فهم الذين أشركوا
بالله وارتكبوا المعاصي. والمشرك يبقى في النار أبد الأباد.
وأما العصاة من المؤمنين فيغفر الله لمن شاء منهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ

لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿ [سورة النساء، الآية ١١٦].

﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۗ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنِي إِسْرَائِيلَ ۖ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۗ إِنَّهُ مَنِ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾ [سورة المائدة، الآية ٧٢].

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: {كنت ردف رسول الله صلى الله عليه وسلم على حمار يقال له عفير قال: فقال: يا معاذ، هل تدري ما حق الله على العباد وما حق العباد على الله؟ قال: قلت: الله ورسوله أعلم. قال: فإن حق الله على العباد أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئاً، وحق العباد على الله عز وجل أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً. قال: قلت: يا رسول الله! أفلا أبشر الناس؟ قال: لا تبشرهم فيتكلوا}. متفق عليه.

يتبين من الآية والحديث أنه يجب على الإنسان أن يعبد ربه ولا يشرك بعبادة ربه أحداً. ولهذا ينبغي للمسلم أن يفهم ما أرسل به المرسلون: "اعبدوا الله واجتنبوا

الطاغوت". وعليه أن يفهم معنى العبادة وأنها اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة. والعبادة لا تراد بها الصلاة فقط. بل العبادة تشمل كل ما أمره الله عز وجل من الدعاء والذبح والنذر والتوكل والرجاء والخوف والاستعانة إلخ. ولا بد صرفها لله عز وجل وحده. وقد أنزل الله سبحانه وتعالى في ذلك

آيات كثيرة: ﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دَعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا

لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [سورة فاطر،

الآية ١٤].

﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبْسِطٍ

كَفْتِهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دَعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ [سورة

الرعد، الآية ١٤].

﴿وَأَنْ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [سورة الجن، الآية ١٨].

﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ

يَنْصُرُونَ﴾ [سورة الأعراف، الآية ١٩٧].

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [سورة الفاتحة، الآية ٥].

﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَحْرَسْ﴾ [سورة الكوثر، الآية ٢].

﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [سورة المائدة، الآية ٢٣].

﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [سورة الطلاق، الآية ٣].

تدل الآيات السابقة على أنه لا يجوز صرف العبادات
لغير الله عز وجل. واتخاذ الوسائل بين العبد وبين الله
بغير هدى من الله يخالف شرعه المطهر. يقول الله تعالى:

﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا
لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا
يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [سورة الزمر، الآية ٣].

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَلُكُمْ فَادْعُوهُمْ

فَلَيْسَتْ حِجْبُهُمْ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [سورة الأعراف، الآية ١٩٤].

وأما الطاغوت فله تعريف خاص، وهو كل ما تجاوز
به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع. [انظر "إعلام
الموقعين"، ١/٥٠].

الشیطان وأتباعه طواغیت لأنهم یصدون الناس عن الصراط السوی ویدعون إلى عبادة أنفسهم. یقول الله عز

وجل عنهم: ﴿ أَخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحٰنَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [سورة التوبة، الآية ٣١].

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أُولَٰئِكَ كَانَ الشَّيْطٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ * وَمَن يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقٰنِ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾ [سورة لقمان، الآيتان ٢١-٢٢].

﴿ هَلْ أَتٰنَكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ * إِذْ نَادٰهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدِّسِ طُوًى * آذٰهَبَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغٰى * فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلٰهٌ إِلَّا أَن تَرَكٰى * وَأَهْدِيكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَخٰشٰى * فَأَرٰهُ آيٰتِنَا الْكُبْرٰى * فَكَذَّبَ وَعَصٰى * ثُمَّ أَذْرٰبَتْ سَعٰى * فَحَشَرَ فَنَادٰى * فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلٰى * فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولٰى * إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخٰشٰى ﴾ [سورة النازعات، الآيات ١٥-٢٦].

ففي إحدى الآيات السابقة كون النصرى ألهوا عيسى عليه السلام لا يدل على أنه طاغوت. إذاً لا بد من إضافة إلى التعريف السابق قيدهما و"هوراضٍ" – أي "من عبد وهو راض بذلك". وعيسى عليه الصلاة والسلام لم يرض بعبادة الناس إياه بل حذر الناس من ذلك: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنَ

مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ * مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿سورة المؤمنون، الآية ١١٥﴾.

والذي لا يريد أن تكون عاقبته سيئة عليه أن يتفكر ويستعد من الآن. وويل لمن نسي الله فنسيه! ولأجل هذا، اذكر الله يذكرك ولا تكن من الذين يذكرون الله عند الشدة فقط. يقول الله عنهم: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا بَجَّكُمُ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا * أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يُخَسِّفَ بِكُمْ

جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا * أَمْ آمَنْتُمْ
 أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ
 ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا ﴿ [سورة الإسراء، الآيات ٦٧-٦٩].

تدل الآية الكريمة على أن الناس عند الشدة يتركون
 عبادة آلهتهم ويلجئون إلى الله وحده، يستعينونه وحده.
 ولكن بعد التخلص من الشدة يعبدون آلهتهم ويتقربون إليهم
 بالذبح والنذر وغيرهما من العبادات. وإذا كان هؤلاء الطواغيت
 يملكون شيئاً من الإلهية فلماذا لا يستطيعون دفع الضر عن
 أنفسهم؟ انظروا كيف يضرب الله مثلاً لعجزهم: ﴿ يَأْتِيهَا
 النَّاسُ ضُرِبٌ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ
 يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ، وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ
 مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ ﴿ [سورة الحج، الآية ١٧٣].

والله عز وجل رضي لعباده ديناً ليبين لهم الحق
 ويعلمهم ما يجهلون. وهذا الدين يدعو الناس إلى عبادة الله
 وحده لا شريك له وينهى عن عبادة الطاغوت. وأسأل
 الذين لا يعرفون هذا الدين اليوم قبل أن يُسألوا في البرزخ:

ما دينك؟

يجاب عن هذا السؤال بعدة أجوبة. ولكن الجواب الصحيح هو كلام الله عز وجل. وقد كان الله تعالى يرسل إلى الناس رسلا كلما انحرفوا عن الصراط المستقيم ليبين لهم الحق. فلننظر مثلا ماذا يقول الله عز وجل عن الأكرمين من رسله: ﴿وَأَمْرٌ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [سورة يونس، الآية ٧٢].

﴿وَمَنْ يَرْعُبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ * إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ * وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَبْنَى إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الَّذِينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [سورة البقرة، الآيات ١٣٠-١٣٢].

﴿وَقَالَ مُوسَى يَقَوْمِ إِن كُنْتُمْ ءَامِنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾ [سورة يونس، الآية ٨٤].

﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ ءَامِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا ءَامِنَا وَآشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [سورة المائدة، الآية ١١١].

والإسلام المذكور في الآيات هو الإسلام العام أي إن جميع الرسل أرسلوا بالتوحيد وكانت شرائعهم شتى. يقول الله عز وجل: ﴿ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ

أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لَيَبْلُوَكُمْ فِي مَاءِ اتِّكُمْ ﴾ [سورة المائدة، الآية ٤٨].

والإسلام هو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والبراءة من الشرك وأهله. يقول الله عز وجل:

﴿ إِنَّ أَلَدِينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ [سورة آل عمران، الآية ١٩].

﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ

الْخَاسِرِينَ ﴾ [سورة آل عمران، الآية ٨٥].

ومراتب دين الإسلام ثلاثة: الإسلام والإيمان والإحسان. ولكل منها أركانه. فأركان الإسلام خمسة: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت. وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: { بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان }. متفق عليه.

ويمكن أن نستدل على هذه الأركان بالآيات القرآنية

التالية: ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ

لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [سورة آل عمران، الآية ١٨].

﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ

النَّبِيِّينَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ [سورة الأحزاب، الآية ٤٠].

﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ

وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ۗ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ﴾ [سورة البينة، الآية ٥].

﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ

عَزِيزٌ عَلِيمٌ ﴾ [سورة آل عمران، الآية ٩٧].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ

مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [سورة البقرة، الآية ١٨٣].

يتضح لنا مما سبق أن أوجب الواجبات هي هذه الأركان

الخمسة. ولو نظرنا إليها جيدا لوجدناها سهلة جدا،

والواجبات الأخرى أسهل من باب أولى.

- المرء يكون مسلما إذا نطق بالشهادتين.

- على كل مسلم أن يصلي خمس صلوات ويصرف ساعة واحدة فقط في اليوم واللييلة لأدائها، وله أن يصرف بقية الأوقات للأكل والشرب والعمل وغير ذلك من الأمور.

- على كل مسلم أن يخرج زكاة ماله في السنة مرة واحدة إذا حال عليه الحول مما رزقه الله عز وجل. ولا تجب عليه الزكاة إلا إذا بلغ ماله النصاب.

- يجب على كل مسلم أن يحج مرة واحدة في عمره إذا استطاع إليه سبيلا. وهذا لا يأخذ منه إلا وقتا يسيرا.

- على كل مسلم أن يصوم شهرا واحدا في السنة وهو شهر رمضان فيصوم في نهار رمضان من طلوع الشمس إلى غروبها فقط. ويجوز له الأكل بالليل وفي باقي شهور السنة.

كما ترون أن هذه الأعمال تأديتها سهلة جدا على من يسره الله تعالى. قال عز وجل: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ

بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [سورة البقرة، الآية ١٨٥].

وإذا كانت واجبات هذا الدين في غاية السهولة فليتفكر الذين لا يمثلون أوامر هذا الدين اليسر كيف تكون حالهم إذا وقفوا بين يدي الله عز وجل فيجازيهم بأعمالهم. ولن يقبل الله منهم بعد إقامة الحجة عليهم قولهم: "ما علمني أحد" أو "لم يكن لدي وقت كاف لأدائها" وغير ذلك من حججهم الباطلة.

والمرتبة الثانية لدين الإسلام هي الإيمان بما جاء عن الله سبحانه وتعالى وعن رسوله ﷺ. وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال لجبريل عليه السلام حين سأله عن الإيمان: { أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره }. متفق عليه.

وأدلة هذه الأركان من القرآن ما يلي: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّنَ﴾ [سورة البقرة، الآية ١٧٧].

﴿إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [سورة القمر، الآية ٤٩].

ولا بد أن نذكر أن للإيمان شعب كثيرة وأنه لا
تنحصر في الأركان الستة فقط. ومجموع شعب الإيمان مع
أركان الإيمان الستة بضع وستون شعبة.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: { الإيمان بضع
وستون شعبة، والحياء شعبة من الإيمان } . رواه البخاري.

وفي رواية لمسلم: { الإيمان بضع وسبعون شعبة }
الحديث.

يقول ابن حجر العسقلاني رحمه الله في شرح هذا
الحديث: "هذه الشعب تتفرع عن أعمال القلب، وأعمال
اللسان، وأعمال البدن. فأعمال القلب فيه المعتقدات
والنيات، وتشتمل على أربع وعشرين خصلة: الإيمان
بالله، ويدخل فيه الإيمان بذاته وصفاته وتوحيده بأنه
ليس كمثله شيء، واعتقاد حدوث ما دونه؛ والإيمان
بملائكته، وكتبه، ورسله، والقدر خيره وشره؛ والإيمان
باليوم الآخر، ويدخل فيه المسألة في القبر، والبعث،
والنشور، والحساب، والميزان، والصراط، والجنة والنار؛

ومحبة الله، والحب والبغض فيه، ومحبة النبي صلى الله عليه وسلم، واعتقاد تعظيمه، ويدخل فيه الصلاة عليه، واتباع سنته. والإخلاص، ويدخل فيه ترك الرياء والنفاق؛ والتوبة، والخوف، والرجاء، والشكر، والوفاء، والصبر، والرضا بالقضاء والتوكل، والرحمة، والتواضع، ويدخل فيه توقير الكبير ورحمة الصغير، وترك الكبر والعجب، وترك الحسد، وترك الحقد، وترك الغضب؛ وأعمال اللسان، وتشتمل على سبع خصال: التلطف بالتوحيد. وتلاوة القرآن، وتعلم العلم، وتعليمه، والدعاء، والذكر، ويدخل فيه الاستغفار، واجتناب اللغو؛ وأعمال البدن، وتشتمل على ثمان وثلاثين خصلة، منها ما يختص بالأعيان وهي خمس عشرة خصلة: التطهير حسا وحكما، ويدخل فيه اجتناب النجاسات، وستر العورة، والصلاة فرضا ونفلا؛ والزكاة كذلك، وفك الرقاب، والجود، ويدخل فيه إطعام الطعام وإكرام الضيف؛ والصيام فرضا ونفلا؛ والحج، والعمرة كذلك، والطواف، والاعتكاف،

والتماس ليلة القدر؛ والفرار بالدين، ويدخل فيه الهجرة
 من دار الشرك، والوفاء بالنذر، والتحرى في الإيمان،
 وأداء الكفارات؛ ومنها ما يتعلق بالاتباع، وهى ست خصال:
 التعفف بالنكاح، والقيام بحقوق العيال؛ وبر الوالدين،
 وفيه اجتناب العقوق، وتربية الأولاد، وصلة الرحم؛
 وطاعة السادة أو الرفق بالعبيد، ومنها ما يتعلق بالعامّة،
 وهى سبع عشرة خصلة: القيام بالإمرة مع العدل، ومتابعة
 الجماعة، وطاعة أولى الأمر، والإصلاح بين الناس، ويدخل
 فيه قتال الخوارج والبلغاة، والمعاونة على البر، ويدخل فيه
 الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وإقامة الحدود؛
 والجهاد، ومنه المرابطة. وأداء الأمانة، ومنه أداء الخمس،
 والقرض مع وفائه، وإكرام الجار؛ وحسن المعاملة، وفيه
 جمع المال من حله؛ وإنفاق المال فى حقه، ومنه ترك
 التبذير والإسراف؛ ورد السلام، وتشميت العاطس، وكف
 الأذى عن الناس، واجتناب اللهو وإماطة الأذى عن
 الطريق". اهـ (انظر "فتح الباري"، ١/٦٨).

والمرتبة الثالثة والأخيرة لدين الإسلام هي الإحسان. قال النبي ﷺ في حديث عمر رضي الله عنه مجيباً لجبريل عليه السلام حين سأله عن الإحسان: { أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك }. متفق عليه.

وتستشهد لهذا الآيتان من كتاب الله ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ

الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [سورة النحل، الآية ١٢٨].

﴿الَّذِي يَرِيكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقْلُبُكَ فِي السَّجِدِينَ * إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ

الْعَلِيمُ﴾ [سورة الشعراء، الآيات ٢١٨-٢٢٠].

الحمد لله الذي أرسل إلى البشرية هذا الدين الذي يدعو الناس إلى الفلاح في الدنيا والآخرة. ومع الأسف أن أكثر الناس غافلون عن هذه الحقيقة وهم معذرون عند الله لجهمهم. ومن رحمة الله عز وجل أنه لا يعذب أحداً حتى يتبين له الهدى ويمهلهم حتى تصلهم الدعوة. وبعد إقامة الحجة يسأل الإنسان عما ارتكبه من الذنوب. وتأملوا وتفكروا بعد الفراغ من قراءة هذه الرسالة: هل

تعذرون أم لا؟ قال الله تعالى: ﴿مَنْ أَهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۗ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا نُزِرُ وَأَرْزُ وَأُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [سورة الإسراء، الآية ١٥].

لقد علمتم أن ربنا هو الله سبحانه وتعالى وأن ديننا هو الإسلام. والآن تعالوا ننظر كيف علمنا هذا؟ أكل ما كتبت في هذه الرسالة رأيته في المنام؟ أو ما هذا إلا أساطير الأولين؟ كلا! هذا ليس برؤية ولا أسطورة! ونظراً أن أكثر الناس غافلون عن دعا إلى هذا الدين فأسألهم سؤالاً ثالثاً وأقول: من الذي اصطفاه الله عز وجل لتبليغ هذا الدين البشرية؟ وهذا هو السؤال الثالث الذي يسأل عنه الإنسان في قبره:

من نبيك؟

لا شك أن كل مسلم سيجيب عن هذا السؤال بأنه محمد ﷺ. ولكن إذا سألناه عن شخصيته وحاله لوجدناه لا يعرف عنه إلا اسمه ﷺ. إذا يجب علينا أن تكون لدينا ولو معلومات مختصرة عنه ﷺ.

ولد محمد ﷺ في عام ٥٧٠ للميلاد ونشأ يتيما. مات أبوه عبد الله وهو في بطن أمه. وأما أمه فماتت وهو ابن ست سنوات. وبعد وفاة أمه كفله جده عبد المطلب، وبعد وفاة جده كفله عمه أبو طالب. ولما بلغ أربعين سنة من عمره اصطفاه الله تعالى وأرسله إلى كافة الناس بشيرا ونذيرا. ودعا ﷺ إلى الإسلام ثلاثا وعشرين سنة منها ثلاث عشرة سنة في مكة وعشر سنوات في المدينة. وتوفي صلى الله عليه وسلم في المدينة وهو ابن ثلاث وستين سنة. وقد لاقى ﷺ في سبيل الدعوة إلى الله صعوبات كثيرة وتعرض لأذى الكفار ولكنه ﷺ صبر على ذلك. والله عز وجل عصمه وشريعته من الشيطان وأوليائه. يقول الله عز وجل:

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾

[سورة الحج، الآية ٥٢].

وجاء ﷺ بالقرآن العظيم الذي هو كلام الله عز وجل. والقرآن بقي كما هو لم يتبدل ولم يتغير منذ أربعة عشر

قرنا وسيكون كذلك إلى يوم القيامة. يقول الله سبحانه:

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [سورة الحجر، الآية ٩].

﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۗ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾

[سورة فصلت، الآية ٤٢].

ونحن نتبع شرع نبينا محمد ﷺ لأنه خاتم النبيين. وهذا لا يعني أننا نوّمن به وحده ونكفر بالأنبياء الآخرين. كلا! بل نوّمن لجميع الأنبياء لأن الله عز وجل أمرنا بذلك:

﴿ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۚ وَإِنْ تُوْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [سورة آل

عمران، الآية ١٧٩].

﴿ ءَأَمِنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ۚ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَأَمِنَ بِاللَّهِ

وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ۚ لَا تَفْرَقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ۚ وَقَالُوا سَمِعْنَا

وَأَطَعْنَا ۗ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ [سورة البقرة، الآية ٢٨٥].

فنحن نوّمن بأن جميع الأنبياء أرسل من عند الله تعالى ونوّمن بهم إجمالاً وتفصيلاً. وعقيدة الأنبياء واحدة ولكن شرائعهم مختلفة. إذا نوّمن بعقيدة جميع

الأنبياء ونتبع شريعة آخرهم فقط: ﴿ وَمَا ءَأَنزَلْنَاكَ الرَّسُولَ

فَخَذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَأَنْتَهُمْ وَأَتَقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٧﴾ [سورة الحشر، الآية ٧].

﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [سورة آل عمران، الآية ٣١].

نستنتج من هاتين الآيتين أنه يجب علينا امتثال أوامره ﷺ. والنبى ﷺ جاء إلينا بالكتاب وهو القرآن العظيم وبالسنة المطهر التي هي تفسر القرآن وتوضحه. والسنة هي كل ما ورد عن النبى ﷺ من قول أو فعل أو إقرار أو وصف خُلقي أو خُلقي. يقول الله عز وجل: ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ

الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ [سورة النجم، الآيتان ٣-٤].

﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ

يَنْفَكُرُونَ ﴾ [سورة النحل، الآية ٤٤].

وقد قسم بعض أهل العلم السنة إلى ستة أنواع (انظر "الشرح الممتع على زاد المستقنع" لفضيلة الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين رحمه الله تعالى):

النوع الأول: السنة ذات السبب، مثل قول "الحمد لله" بعد العطاس. لأن العطاس هو السبب لهذا القول. فلو قاله بعد النعاس مثلا لخالف السنة لأنه ليس بسبب مشروع لذلك.

النوع الثاني: السنة ذات الكيفية، مثل الترتيب بين الركوع والسجود في الصلاة. فلو سجد قبل الركوع لخالف بذلك السنة.

النوع الثالث: السنة ذات المقدار، مثل عدد ركعات الصلوات الخمس المفروضة، فلو صلى الفجر ثلاث ركعات أو ركعة واحدة لخالف السنة.

النوع الرابع: السنة ذات الجنس، مثل الأضاحي، فلا تجزئ الأضحية إلا من الغنم والبقر والإبل. ولو ذبح أرنباً أو دجاجاً أو غيرهما لخالف بذلك السنة.

النوع الخامس: السنة ذات الوقت، مثل أوقات الصلوات الخمس. فلو صلى المغرب قبل الغروب لخالف السنة.

النوع السادس: السنة ذات المكان، مثل الاعتكاف في المساجد. فلو اعتكف في غير المسجد لخالف السنة.

إذاً يجب على المسلم أن يتحرى الصواب عند أداء العبادات ولا يجوز له أن يخالف سنة النبي ﷺ. عليه أن يعبد الله على بصيرة وأن يجتنب المحدثات في الدين. وقد توعد الله الذين يحدثون في الدين ما ليس منه فقال:

﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا نَبَّيْنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ ۖ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ [سورة النساء، الآية ١١٥].

﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ﴾ [سورة النور، الآية ٦٣].

وقال النبي ﷺ: { من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد } . متفق عليه.

ومع الأسف أن بعض الناس يؤمنون بالله ورسوله لكن لا يمثلون أوامرهما قائلين: "إن قلوبنا طاهرة". وهل الذين امتثلوا أوامر الله حتى أتاهم اليقين من النبيين

والصحابية وأئمة الهدى وآبائنا الصالحين كان قلوبهم غير طاهرة؟ وهل يطهر قلبك أم لا إن امتثلت أمر الله واجتنبت نهيه؟ فتأمل!

وقد كان مشركو مكة يسمون الدين الذي جاء به الرسول ﷺ سحرا، ويسمون من جاء به ساحرا ومجنونا

وكاهنا. قال الله عز وجل: ﴿وَإِذْ نُنْتَلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا نَيِّنْتِ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانْتُمْ يَعْبُدُونَ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا إِنْكَارٌ لِمُفْرَقٍ ؕ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٣﴾ [سورة سبأ، الآية ٤٣].

﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ [سورة الأنعام، الآية ٧].

﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ ؕ وَقَالَ الْكٰفِرُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذٰبٌ ﴿٤﴾ [سورة ص، الآية ٤].

﴿فَذَكَرْنَاكَ أَنْتَ بِرَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾ [سورة الطور، الآية ٢٩].

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ * وَيَقُولُونَ إِنَّا لَا نَرِكُوا

ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ ﴿ [سورة الصافات، الآيتان ٣٥-٣٦].

تدل هذه الآيات على أن النبي ﷺ ليس بساحر ولا
بكاهن بل هو عبد الله ورسوله. وقولنا "عبد الله" يعني أنه
ليس له شيء من صفات الإلهية والربوبية. وهو كسائر

الناس تابع لإرادة الله وقدرته. قال الله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ
لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَاسْتَكْرَمْتُ

مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [سورة
الأعراف، الآية ١٨٨].

تدل الآية الكريمة أن الرسول ﷺ كان يعتقد أنه لا
يملك لنفسه ولا لغيره نفعا ولا ضرا. فكيف يمكن أن
نعتقد أن أحدا غير الله يستطيع أن يضرنا أو ينفعنا؟

وقولنا "ورسوله" يعني أن الله عز وجل اصطفاه على
سائر الناس وفضله عليهم وحتى على الأنبياء منهم. وكل
ذلك من أجل خصائصه وصفاته الحميدة.

– فمن خصائصه ﷺ أنه خاتم النبيين: ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ

أَبًا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ

عَلِيمًا ﴿ [سورة الأحزاب، الآية ٤٠].

– ومن خصائصه أنه رسول الله إلى جميع الثقليين

الإنس والجن: ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ

جَمِيعًا ﴿ [سورة الأعراف، الآية ١٥٨].

﴿ وَأَنَا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ ءَأْمَنَّا بِهِ ۗ فَمَن يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ ۗ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا

وَلَا رَهَقًا * وَأَنَا مِمَّنَ الْمُسْلِمِينَ وَمِمَّنَ الْفَاسِقِينَ ۗ فَمَن أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوْا

رَشْدًا ﴿ [سورة الجن، الآيتان ١٣-١٤].

– ومن خصائصه أن الله عز وجل أنزل عليه القرآن:

﴿ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۗ

وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿ [سورة النساء، الآية ١١٣].

– ومن خصائصه أنه صاحب المقام المحمود يوم

القيامة: ﴿ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿ [سورة الإسراء، الآية ٧٩].

- ومن خصائصه ﷺ أنه سوف يكون شهيدا على أمته
وعلى الأنبياء، بينما يشهد الأنبياء غيره على أممهم فقط:

﴿ كَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾

[سورة النساء، الآية ٤١].

- ومن خصائصه أنه أول من يدخل الجنة: عن أنس
بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: { أتى باب الجنة يوم
القيامة فاستفتح فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: محمد.
فيقول: بك أمرت، لا أفتح لأحد قبلك } . رواه مسلم.

- ومن خصائصه أنه أوتي خمس خصال: عن جابر
بن عبد الله رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: { أعطيت خمسا لم
يعطهن أحد قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي
الأرض مسجدا وطهورا، فأیما رجل من أمتي أدركته
الصلاة فليصل، وأحلت لي المغانم ولم تحل لأحد قبلي،
وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة،
وبعثت إلى الناس عامة } . رواه البخاري.

الخاتمة

تمت هذه الرسالة بعون الله وتوفيقه. فعليكم أن تنتفعوا بها غاية الانتفاع. ونرجو من القراء الكرام ألا ينسوا حين قراءتهم الرسالة الموت وأن أجل الله لآت. وهذا لا يعني أنه يجب على المسلم أن يترك أمور الدنيا ويقبل على العبادات المتنوعة مثل الرهبان. بل عليه أن يسعى من أجل تطور دينه ودولته وشعبه. والدين الإسلامي يدعونا إلى العلم والتطور فلماذا نتأخر عن الأقسام الآخرين في العلوم والصناعة؟ نحن عاجزون عن الاختراعات والاستكشافات العلمية؟ وكلنا يعرف جيدا أن الإسلام مبني على العلم. والإسلام كان يدعو الناس إلى النشاط الحر والتطور والترقي والمعارف في حين كان كثير من الأقسام غافلين عن تلك الفضائل. لذا أوصيكم جميعا أن ترتبطوا بالعلم والدين سواء بسواء. لأن الدين بلا علم والعلم بلا دين لا ينفعان.